بريطانيا كانوا مستعدين كل الاستعداد لاثارة حملة شنعاء تهدف الى حرمان هـــؤلاء اللاجئين السيئي الطالع من حق اللجوء ٠

ومنح هرتسل هؤلاء اليمينيين بركته وتشجيعه ، وفي شهادته « للجنة الملكية حـــول هجرة الاجانب » ، التي حققت في المسالة في ١٩٠٢ و ١٩٠٣ ، دعا هرتسل الى تحويـــل نهر الهجرة عن بريطانيا ٠ وهكذا اتفق في الرأي مع العنصري إرنولد وايت ، احد ابرز منظري الحملة من اجل منع اليهود من دخول بريطانيا (٥) ٠

كان احد الزعماء البارزين لهذه الحملة الذين اقام هرتسل معهم صلات ودية هو وزير المستعمرات جوزف شامبرلين ٠ ففي خطاب في لايمهاوس بلنـــــدن ، في كانـون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ ، هاجم شامبرلين سياسة السماح للهجرة اليهودية الـــى بريطانيا ، مؤيدا في الوقت ذاته الفكرة الصهيونية لدولة يهودية وممتدحا هرتسل بحرارة (٦) ٠

كان اهم لاسامي بريطاني في ذلك العصر ، من حيث الخدمات التي اسداها بالنتيجـة الى الصهيونية ، هو السياسي المتعصب في هجماته المتكررة على اليهود اللورد آرثور بلفور ٠ وفي نقاش برلماني حول قضية الهجرة ، القى بلفور خطابا طرح فيه قضية مألوفة جدا للاسامية ٠ فقد اعلن قائلا : « لن يكون لمصلحة مدنية البلد ان تكون هناك مجموعـة ضخمة من الاشخاص الذين ، بافعالهم الخاصة ، يبقون شعبا منفصلا ، ولا يعتنقون دينا مختلفا عن الاكثرية الساحقة من مواطنيهم فحسب ، ولكنهم ايضا لا يتزاوجون الا فيمـــا بينهـــم » (٧) ٠

كان باستطاعة هرتسل ان يعلن بارتياح ان « اللاسامية قد نمت وتستمر في النمو ، وانا ايضا انمو » (٨) ٠ الا ان ثمار دبلوماسيته لم تنضج خـلال حياته ٠ وبعد عشـــرة اعوام من موته ، اثبتت الحرب العالمية الاولى انها نقطة تحول في حظوظ الصهيونية ، اذ اعتزم الحلفاء الغربيون ان يقسموا الامبراطورية العثمانية ، التي كانت تقاتل الى جانب المانيا ٠ وكانت فلسطين آنذاك تحت السيطرة العثمانية ٠

انتهج الصهاينة سياسة المراهنة على كلا الجانبين في العامين الاولين مـن الحرب ٠ وكان المقر الرئيسي للمنظمة الصهيونية العالمية لا يزال في برلين ، وواصل زعماؤهـــا هناك الجهود لتشكيل تحالف مع المانيا ٠ وفي الوقت ذاته قام حاييم وايزمـان ، رئيس الاتحاد الصهيوني البريطاني آنذاك ، بجهود مماثلة من اجل تحالف مع بريطانيا ٠ قـــام وايزمان بحملة ذكية ونشطة ، مركزا على كسب تأييد سياسيين رجعيين امثال بلفور ، والورد روبرت سيسيل ، ورئيس الوزراء لويد جورج ، والى جانب الحجة القائلة بـــان الصهيونية هي طريقة ملائمة لتخليص اوروبا من يهودها ، استخدم وايزمان كذلك الحجة الامبريالية القائلة بان « فلسطين يهودية ستكون دولة واقية لانكلترا خصوصا فيما يتعلق بقناة السويس » (٩) ٠

وكان « اعلان بلفور » الصادر في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ نتيجـة لهذه الجهود الدبلوماسية ٠ وهكذا كان الدافع لهذه الشرعة الاولى من اجل « وطـــن قومي » صهيوني هو مزيج من المطامح الامبريالية والتحيزات اللاساميـــة من جانب السياسيين اليمينيين الذين اصدروها ٠ وجدير بالملاحظة ان المعارضة القوية لها ضمـــن الحكومة البريطانية جاءت من عضوها اليهودي الوحيد ،السير ادوين مونتاغو ، الـذي ادرك بوضوح الدوافع اللاسامية وراء سياسة بلفور ولويد جورج ٠ وكتب مونتاغو يقول :